

والسجع عيب ، وعلل ذلك بما ذكرناه من أن السجع تبعه المعاني والفواصل تتبع المعاني . وهذا غير صحيح » (3) .

وحرر الموقف فقال ان التكلف كما يعرض في السجع عند تماثل الحروف ، يعرض في الفواصل عند تناسب الحروف ، والتكلف في كليهما مدموم مرفوض . اما ان يأتي التماثل والتقارب طوعا سهلا وباعا للمعاني ، فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان . ولم يرد في القرآن الا ما هو من هذا الضرب لعنوه في الفصاحة .

ثم قال . . . « واظن ان الذي دما اصحابنا الى تسمية ما في القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا ، رغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم . وهذا في التسمية قريب ، فاما الحقيقة فما ذكرناه » (4) .

وكذلك لم ير « ابن الاثير » في (المثل السائر) وجها لدم السجع على الإطلاق ونفيه عن القرآن جملة . فهناك سجع بليغ ، الفاظه حاوة حادة طنانة رنانة لا غنة ولا باردة ، والمعنى فيه تابع للفظ ، وكل فقرة من المجموعتين دالة على معنى غير الذي دلت عليه اختها » (5) .

« وأبو هلال العسكري » في فاتحة (أسرار البلاغة) يرى من السجع ما هو حسن بليغ ، اللفظ فيه استدعاه المعنى . وعنده ان مثل هذا السجع حلية في الكلام ، ويمجبه منه الرونق اللفظي الذي هو عنده من أسرار الامجاز (6) .

« وابن حمزة العلوي » في باب التسجيع من (الكتاب المرسوم بالطراز) لم يعرض للخلاف بين الاسجاع والفواصل ، ولا ناقش القائلين بالسجع في القرآن والقائلين بنفيه ، لكنه قرر ان التسجيع « من علوم البلاغة ، كثير التدوار عظيم الاستعمال في السنة

وحتى القرن الثالث الهجري ، كان التحرج واضحا من القول بالسجع في القرآن . وكانما كان الحسن المؤمن ينبو بالكلمة ، لكثرة ما اطلقت من قديم على سجع الكهان .

ولكن التغطية ما لبثت ان دخلت معترك الجدل الكلامي بين الفرق الاسلامية ، فارتبطت بالامجاز بالنظم ، وبدأت تستقل بمباحث مفردة :

الإشاعة تردوا نفي السجع عن القرآن ، وآثروا لفظ الفواصل على السجع ، محاولين ان يفرقوا بينهما ، بان الفواصل يتبع اللفظ فيها المعنى فيه اللفظ (1) .

ولا يبدو لنا وجه تمييزهم بين السجع والفواصل القرآنية واضحا ولا قويا ، فيما نقل عنهم « الباقلائي » فهو يقيم الفرق أحيانا على ملاحظ شكلية من تفاوت المقاطع بين الفاصلتين طولا وقصرًا ، وهذا عنده اخلال بضوابط السجع ومقاييسه .

والمعتزلة نفوا كذلك القول بالسجع في القرآن نفيًا باتًا ، مقررين ان الفواصل بلاغة والسجع عيب . وبسط « الرماني » هذا المذهب في رسالته في امجاز القرآن ، محتجا للفواصل القرآنية بان العبارة فيها بالمعنى . وان لم يمتنع عنده ان يكون للجرس الصوتي والتلاف الإيقاع حظه من التقدير (2) .

ولكن من البلاغيين من لم يطمئنوا الى هذه التفرقة بين الفواصل والسجع ، وان أجمعوا على امجاز البيان القرآني .

منهم « ابن سنان الخفاجي » السدي قال في (سر الفصاحة) :

« واما الفواصل التي في القرآن ، فانهم سموها فواصل ولم يسموها أسجعا . وفرقوا فقالوا ان السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يعمل المعنى عليه . والفواصل هي التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في أنفسها . وقال الرماني ان الفواصل بلاغة

(1) الباقلائي : امجاز القرآن ، (في نفي السجع من القرآن) .

(2) ثلاث رسائل في امجاز القرآن : ص 97 ، ط الذخائر .

(3) الخفاجي : سر الفصاحة : 164 .

(4) الخفاجي : سر الفصاحة : 166 .

(5) ابن الاثير : المثل السائر ، ص 74 ، 97 - ط البهية بالقاهرة سنة 1312 .

(6) أسرار البلاغة : 7 .

البلغاء ، ويقع في الكلام المنشور ، وهو في مقابلة التصريح في الكلام المنظوم الموزون في الشعر » (1)

وواضح من مسنكه في الاستشهاد لكل نوع من أنواع التسجيع آيات قرآنية ، انه يذهب مع القائلين بوجود السجع في القرآن .

وعندهم ان الامر في التفرقة بين الاسجاع والفواصل ليس الا كراهة القول بالسجع في القرآن ، بعد ان شاع اطلاقه على سجع الكهان .

« وابن ابي الاصبغ المصري » (585 : 654 هـ) في كتابه (بديع القرآن لا يبدو مستقرا على رأي في الموضوع ، ففي باب (ائتلاف الفاصلة) ينفي السجع عن فواصل القرآن ، وفي باب (التسجيع) يأسى بشواهد قرآنية على فنون التسجيع (2) .

وما نزال نجد جفوة تجاه لفظ السجع ، لطول ما ابتدته الصنعة اللفظية والزخرف البدعي ، في اساليب المصور المتأخرة ، بعد ان اصطنعه الكهان في العصر الجاهلي .

— ◆ —

ومن ثم نؤثر ان نمضي على تسمية مقاطع الآيات في النظم القرآني بالفواصل ، وهو ما جرى عليه أكثر المفسرين .

واراني اطلت في عرض اقوال السلف في الفواصل القرآنية والسجع ، توطئة لتدبر أسرار التفسير في هذه الظاهرة الاسلوبية من البيان المعجز .

وبعد الذي سقناه من خلافهم فيها بين اللفظ والمعنى نتدبر الفواصل القرآنية فلا نرى البيان القرآني يتعلق في أي فاصلة منها بمجرد رعاية شكلية للرواق اللفظي ، وإنما تأتي فواصله جميعا لمقتضيات معنوية بيانية مع نسق الإيقاع بهذه الفواصل ، وائتلاف الجرس ، على نحو تتقاصر دونه طاقة البلغاء .

وقد رأينا كيف تباعدت بهم السبل بين الطرفين المتقابلين :

واختار هنا شواهد من الفواصل التي وهم «الفراء» ومن ذهب مذهبه فحملوها على قصد المشاكلة اللفظية بين رؤوس الآيات بإيثار نسق على آخر أو المدول عن لفظ الى غيره في معناه .

ففي البيئة الكلامية ، اختلفت الفروق الاسلامية بين نفي السجع في القرآن نفيا باتسا على ما نقلنا من كلام الاشاعرة والمعتزلة .

ونختلف معهم ابتداء في القول بلفظين لمعنى واحد . وقد سبق بيان ذلك في الترادف وسر الكلمة .

وبين القول بوجوده في النظم القرآني . قال به من الشيعة « يحيى بن حمزة العلوي » وفي البيئة اللغوية والبلاغية ، تباعد الخلاف بين مذهب « الفراء » في ان السجع في القرآن مقصود لذاته ، وأنه ربما عدل عن نسق الى آخر وءاثر لفظا على غيره في معناه ، تصدا الى المشاكلة واتفاق رؤوس الآيات .

ثم ننظر في هذه الفواصل :

وبين من انكروا ، كابن سنان الخفاجي وابن الاثير، ان تكون معاني الفواصل القرآنية تابعة للالفاظ .

« والضحي والليل اذا سجي . ما ودمك ربك وما قلى »

ورأينا من الاقدمين من فرقوا بين الفواصل والاسجاع ، اما بملحظ شكلي من توازن المقاطع طولا وقصرا وتمائل او آخرها او تقاربها ، وهو رأي «القاضي الباقلاني» . واما بملحظ معنوي في مجيء اللفظ تابعا للمعنى أو العكس كراي «علي بن عيسى الرماني» .

قال « الفراء » ان القرآن جرى فيها على طرح الكاف من « تلاك » - ومن : فأوى فهدي ، فأفنى - لمشاكلة رؤوس الآيات .

لكن أكثر البلاغيين لم يروا فرقا بين الفواصل

وعد « الفخر الرازي » من وجوه حذف الكاف ، رعاية الفاصلة (3) .

- 1 الطراز : باب التسجيع ، ط المقتطف بالقاهرة 1914 .
- 2 بديع القرآن : ص 89 ، 108 ط نهضة مصر بالجيزة 1957 .
- 3 الرازي : التفسير الكبير ، سورة الضحى .